**ديفيد هيوم**

ديفيد هيوم (بالإنجليزية: David Hume) (ولد في 26 أبريل 1711 - توفي في 25 أغسطس 1776)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي

.

لقد مات سقراط جراء تناول شراب نبات الشوكران السام (Hemlock) مدانًا بالموت بواسطة شعب أثينا. بينما لقي ألبير كامو حتفه في سيارة التَفَّت حول شجرةٍ، نظرًا لسرعتها الكبيرة. ولقد أصيب نيتشه بالجنون بعد البكاء على حصان مهزوم. تُحب الأجيال القادمة النهايات المأساوية، وربما لهذا السبب لم تزددْ شعبية دايفيد هيوم، والذي يُمكن القول بأنه أعظم فيلسوف أنتجه الغرب.

وبينما كان ديفيد هيوم ذو الـ 65 عامًا، راقدًا على فراش الموت في نهاية حياة طويلة، سعيدة، وناجحة أخبر طبيبه: «إنني أموت سريعًا كما قد يتمنى لي أعدائي، إن امتلكتُ أيًّا منهم، وبسهولة وابتهاج كما قد يرغب لي أفضل أصدقائي.» قبل وفاته بثلاثة أيام – ربما بسرطان البطن، وفي يوم 25 أغسطس 1776، فإن طبيبه كان لا يزال يُبلغ بأنه «خالٍ جدًا من القلق، الجزع، أو الاكتئاب ويقضي وقته بشكل جيد جدًابمساعدة الكتب المسلية.»

وعندما أتت النهاية، أخبر الدكتور بلاك بأن هيوم قد «استمر راشدًا عاقلًا حتى النهاية، معافى من الكثير من الآلام أو مشاعر المحنة والكرب. ولم يتفوه مطلقًا بأصغر التعبيرات عن الجزع. وعندما أتيحت له الفرصة ليتحدث للناس عنه، فقد فعل دائمًا بمودة وحنان … فقد مات في حالة عقلية من الهدوء والسعادة، والتي لا يستطيع أي شيءٍ أن يتجاوزها. »

كانت شهرة ديفيد هيوم أثناء حياته كمؤرخ، أكبر منها كفيلسوف. ولقد بدأت مسيرة هيوم الفلسفية بشكل مشؤوم، نوعًا ما. حيث كانت أولى محاولاته المُبكرة في وضع نظام فلسفي شامل جديد: رسالة في الطبيعة البشرية (1939 – 40)، والتي نشرها وعمره 26 عام، ولقد كان الكتاب على حد تعبيره الفكاهي: «عديم الفائدة بالنسبة للصحافة، حيثُ لم يصلْ إلى درجة تثير الهمهمة بين المتحمسين.»

وبمرور الوقت، ازدادت مكانة هيوم حتى وصلت لأعلى مستوى. منذ بضع سنين، تم سؤال آلاف الفلاسفة الأكاديمين عن الفيلسوف الذي ينتمون إليه، ويتشابهون معه. ولقد جاء هيوم بشكل صريح في المرتبة الأولى، متفوقًا على أرسطو، كانط، وفيتجنشتاين. وحتى العلماء – الذين لديهم القليل من الوقت للفلسفة – عادة ما يضعون استثناءً لهيوم. وحتى البيولوجي لويز ولبرت والذي يقول بأن الفلاسفة «على قدر عالٍ للغاية من الذكاء، ومع ذلك فلا يمتلكون شيئًا مفيدًا لقوله»، يضع استثناءً لهيوم – معترفًا بأنه أحبه في مرحلة من حياته.

ومع ذلك، فإن الإسكتلندي العظيم يظل ذا شأنٍ كجزء من فيلسوف الفلاسفة. وحتى الآن لا يُوجد أي كتب شعبية ناجحة عنه، كما حظي مونتين، نيتشه، سقراط، فيتجنشتاين والرواقيون. اقتباساتهم – لا اقتباساته – تزين الأكواب ومناشف الشاي، وتحدق وجوههم من الملصقات. لم يعبر هيوم حتى الآن من التميز والسمو الأكاديمي إلى الإطراء والإشادة العامة (بين الجمهور).

والأسباب التي تجعله على هذا النحو، هي نفسها الأسباب التي من المفترض ألا تجعله كذلك. إن صلابة هيوم كشخص ومفكر تعني أنه لم يمتلك هذا النوع من «السمات» التي تُروِج وتَبيع المثقفين. باختصار، فهو لم يكن تراجيديًا، أو رومانسيًا – كما أن أفكاره ليست بسهلة التلخيص. إضافةً إلى ذلك، فإن نفوره من التعصب من أي نوعٍ جعله عقلانيًا للغاية، ومعتدلًا في إلهام معجبيه من المتحمسين.

لقد حظي هيوم على الأقل بفرصتيْن ليصبح بطلًا تراجيديًّا ويتجنب النهاية السعيدة التي وجدها في نهاية المطاف. فعندما كان بعمر 19، فشل في مقاومة ما كان يُسمى «مرض المُتعلِم» ألا وهو الحزن والكآبة، ما يُسمى اليوم – بالاكتئاب. ومع ذلك، فبعد حوالي 9 أشهر، أدرك أن هذا ليس مصيرًا حتميًا للشخص الحكيم، ولكن النتيجة لتكريس الكثير من الوقت لدراساته. مدركًا أنه لكي يظل بصحة جيدة – كان من الضروري عليه لا الدراسة فقط، بل أيضًا التدريب وطلب صحبة الأصدقاء. وبمجرد أن بدأ في القيام بهذا، اكتسب مرة أخرى بهجته والتي ظل محتفظًا بها كثيرًا لبقية حياته.

ولقد علمه هذا درسًا مهمًا بشأن طبيعة الحياة السعيدة. كما كتب لاحقًا في كتابه مبحث في الفاهمة البشرية (1748): «إن العقل يحتاج لبعض الراحة، حيثُ لا يستطيع دائمًا أن يدعم عزمه بالاهتمام والمثابرة.» لذا فإن الفلسفة مهمة، ولكنها ليست كل شيءٍ. ويقول أيضًا: «إنني أمتنع عن الفكر الغامض المبهم والمباحث العويصة العميقة، حيث ستُعاقب بشدة بواسطة الأفكار السوداوية الكئيبة، والشك اللانهائي الناتج عنهم. لذا فإن أنسب حياة للجنس البشري هي مزيج – حيث اللهو، المتعة، والتسلية مهمة، بالإضافة لما يُعتقد بأنه المساعي العليا. لذا كن فيلسوفًا، ولكن في وسط جميع فلسفاتك، كن إنسانًا.»

وعام 1770، حصل ديفيد هيوم على فرصة أخرى للاستشهاد (في سبيل اعتقاداته)، في ظروف مثيرة للشفقة. حيثُ كانت البحيرة الشمالية (Nor Loch) بإدنبره، والتي حلّ مكانها الآن حدائق برنسيس ستريت (Princes Street)، يتم تجفيفها كجزء من توسع المدينة. ماشيًا عبرها في أحد الأيام، سقط هيوم في أحد المستنقعات التي لم تجفْ بعد. صرخ هيوم طالبًا المساعدة، ولكن لسوء الحظ فإن المرأة التي سمعت صراخه، أدركته بأنه «الكافر العظيم» (لقب أُطلق على هيوم) – لذا فـقد مالت المرأة إلى عدم إنقاذه. وقد أشار هيوم بعقلانية، بأنه يجب على جميع المسيحيين مساعدة أي شخص بغض النظر عن معتقداته، ولكن فهمهم لحكاية السامري الصالح لم تصل لديهم مثلما وصلت لدى هيوم، لذا فقد رفضوا إنقاذه إلا إذا أصبح مسيحيًا هناك وبعد ذلك، تلا صلوات الرب وآمن بأسس العقيدة المسيحية.

رُبما لو سقط سقراط في هذا المستنقع، لفضل الموت باسم الحقيقة. ومع ذلك، فإن هيوم لم يكنْ ليدعَ حماقة الآخرين بأن تُقصِر حياته، لذا فقد فعل ما قد يفعله أي إنسان راشد، فقد وافق على طلبهم، بدون أي نية للوفاء بوعده.

وفي هذا، فقد تبع ديفيد هيوم خطوات الفيلسوف الوحيد الآخر والذي ينافسه على العظمة في جميع الأوقات، أرسطو. فيلسوف آخر والذي لا يُمكن أنْ تصل مكانته بين الخبراء لأبعد مما وصلت إليه، ولكنه فشل – كهيوم – في أسر خيال العامة. ليس من قبيل المصادفة، ولكنني أعتقد بأنه رفض أنْ يلعب هو الآخر دور الشهيد. فقد أدين أرسطو – مثل سقراط – بالموت بسبب المعصية (impiety). ولقد امتلك الفرصة هو الآخر كسقراط للهروب من المدينة للأمان. ولكن على عكس سقراط، فإن هذا ما فعله بالضبط أرسطو. لذا فبينما يعلم الجميع كيف مات سقراط، فلا يعلم سوى القليل أن أرسطو – كهيوم – مات في الستينيات من عمره، أيضًا بسرطان المعدة هو الاخر

أقواله ال 36

* الجمال ليس خاصية في ذات الأشياء بل في العقل الذي يتأملها
* إن البخل هو حافز الصناعة
* يتصرف الناس عامدين عادة ضد مصلحتهم.
* تنبع الحقيقة من الجدل بين الأصدقاء.
* يحُد القانون دائمًا من كل سلطة يمنحها.
* ما هو أعظم رقم؟ رقم واحد
* لا توجد مميزات في هذا العالمة خالصة وغير مختلطة
* إن كل شيء في العالم يمكن شراءه بالعمل
* يناسب الرجل الحكيم إيمانه مع الأدلة.
* إن الشخصية هي نتيجة نظام من من المبادء النمطية.
* إن فساد أفضل الأمور يجعل الأمور الأسوأ تبرز
* إن قواعد الأخلاقية ليست هي الاستنتاج الذي يصل له منطقنا
* إن الجمال سواء أخلاقي أو طبيعي، يحس، بأكثر مما يُدرك
* ليس المنطق هو ما يوجه الحياة بل العادة
* كن فيلسوف، ولكن وسط كل فلسفتك، ابق رجلاً
* إن التعلم المدرسي والألوهية الجدلية أعاقت نمو كل المعارف الحقيقية.
* نادرًا ما يضيع أي نوع من أنواع الحرية بشكل كامل فجأة.
* ستجعلنا الفلسفة فيرونيين (متشككين) بالكامل، ونحن لسنا أقوياء بطبيعتنا بشكل يناسبها.
* بشكل عام، الأخطاء في الدين خطيرة، بينما التي في الفلسفة سخيفة فقط
* إنه مبدأ سياسي عادل، أن كل إنسان يجب افتراض أنه محتال
* إن أعلى مستويات الشعبية والوطنية تُهزم في الطريق إلى السلطة والطغيان
* يا له من امتياز رائع يمتلكه ذلك الهياج الصغير في المخ فيما نطلق عليه “الفكر”.
* إن الغرض، والنية، والتصميم، تضرب الجميع حتى المهملين، والمفكرين الأكثرغباءًا.
* إن الميل للأمل والمتعة هي الثروات الحقيقية التي يجب أن يخشاها الفرد، أما الأسف والندم فهو الفقر الحقيقي
* إن الطبيعة البشرية هي مجرد علم الإنسان، ومع ذلك كانت العلم الأكثر تجاهلاً حتى الآن
* أبلغ رد عدم الرد على الحمقى والمستفزين
* يجب أن يكون التفكير عبداً للعواطف، ولا يمكنه أبداً الادعاء بأن له وظيفة أخرى غير خدمتها وطاعتها
* سعيد هو من تكون ظروفه مناسبة لمزاجه، لكن الأسعد من يستطيع أن يجعل مزاجه مناسباً لأي ظرف
* لتكن فيلسوفا لكن احتفظ بإنسانيتك وسط فلسفتك
* ما فائدة أن نحصل على ما نريد حين لا نعود نريده.
* كل تصرف إيجابي تقدمه للآخرين ، تجني تأثيراً إيجابياً عميقاً في نفسك.
* لا يوجد شيء أكثر إدهاشا من السهولة التي يَحكم بها القلة الكثرة.
* الحكيم هو من يبني إيمانه على البرهان.
* العُرف والعادة هي المُرشدُ العظيم لحياة البشر
* الوقت الذي ستضيعه في التذمر من شيء ، إستغله في محاولة تحسينه
* الميل إلى الأمل والسعادة ثروة حقيقية، أما الميل إلى الخوف والأسى ففقر حقيقي.

مؤلفاته

1739- رسالة في الطبيعة البشرية في جزأين

1740 - موجز الرسالة في الطبيعة البشرية

1741 - مباحث أخلاقية وسياسية

1748 - محاولات فلسفية في الفاهمة البشرية، الذي آعيدت تسميته في طبعة 1758 بمبحث في الفاهمة البشرية

1751 - مبحث في الأخلاق

1752 - مقالات سياسية

1754 - تاريخ انكلترا، المجلد الأول (عهدا جاك الأول وشارل الأول)

1756- تاريخ انكلترا، المجلد الثاني (تاريخ آل ستيوارت) و(تاريخ انكلترا منذ اجتياح يوليوس قيصر إلى هنري الرابع)

1779 - محاورات في الدين الطبيعي، الذي أعده في عام 1769

المصدر

https://aeon.co/essays/hume-is-the-amiable-modest-generous-philosopher-we-need-today